

(١)

وحدة الوطن سبيل قوته

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم : {وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

وبعد :

فقد جاء النبي (صلى الله عليه وسلم) برسالة تدعو إلى **الوحدة والتآلف ، ونهى عن الفرقة والشقاق** ، فجمع أشتات العرب المتنافرين ، وجعلهم أمة واحدة ، وآخى بينهم بأخوة الإيمان ، وربط بين قلوبهم برباط الألفة ، حيث يقول الحق سبحانه : {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} ، ويقول (جل شأنه) : {وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} ، كما أمر النبي (صلى الله عليه وسلم) بالتواد ، والتراحم ، والتعاطف ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ ، وَتَرَاحُمِهِمْ ، وَتَعَاطُفِهِمْ ، مَثَلُ الْجَسَدِ ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى) .

على أن هذا التآلف لم يقتصر على المسلمين فيما بينهم ؛ ولكنه شمل الناس جميعًا ، حيث يقول الحق سبحانه : {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} ، وهذا ما أكده القرآن الكريم حين تحدث عن الأخوة الإنسانية بين الأنبياء وبين المخالفين لهم في العقيدة ، ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى : {وَالِى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا} ، وقوله (جل شأنه) : {وَالِى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا} ، وقوله سبحانه : {وَالِى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا} ، وبعد أن ذكر الحق سبحانه وتعالى قصص الأنبياء السابقين ، قال (جل شأنه) : {وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ} ، ويقول سبحانه : {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا

(٢)

رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ} ، قال الإمام البغوي (رحمه الله) : بعث الله الأنبياء كلهم بإقامة الدين ، والألفة والجماعة ، وترك الفرقة والمخالفة .

ومما لا شك فيه أن دعوة الإسلام إلى **الوحدة والاجتماع ، ونبذ الفرقة والأنانية ، هي إحدى عوامل الحفاظ على قوة الوطن وسلامة المجتمع** ؛ لأن الفرد مهما كان قويا في مجتمع ضعيف فإنه يظل ضعيفا ، وفي المقابل إذا كان الفرد ضعيفا في مجتمع قوي فإنه يستمد قوته من قوة المجتمع الذي يعيش فيه ؛ لذا أعلى الإسلام من قيمة المواطنة ، وأكد على أن الوطن لجميع أبنائه ، وهو بهم جميعا ؛ لأن وحدة الوطن تقتضي عدم التفرقة بين أبنائه على أساس الدين ، أو اللون ، أو الجنس ، فلا فضل لعربي على أعجمي ، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى ، والعمل الصالح ، ومن هنا كانت وثيقة المدينة التي أقرها النبي (صلى الله عليه وسلم) مع يهود المدينة ؛ حيث أعطى اليهود كل حقوق المسلمين من الحرية ، والأمن ، والسلام ، وألزمهم فيها بالدفاع المشترك مع المسلمين عن المدينة ، في تأكيد قوي أن الوطن في الإسلام يشمل جميع المواطنين ويسعهم ، طالما التزم كل منهم واجباته ومسئوليته .

كما أعلى الإسلام من قيمة العمل بروح الجماعة ، وجعل وحدة الصف ، وتكاتف الجهود ، ونبذ الخلافات واجب الأمة في كل زمان ومكان ، وهذا أمر الله تعالى في القرآن الكريم ، قال سبحانه : {وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا ، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا ؛ فَيَرْضَى لَكُمْ : أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ، وَيَكْرَهُ لَكُمْ : قِيلَ وَقَالَ ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ) ، ولقد ضرب النبي (صلى الله عليه وسلم) مثلا للأمة في

اتحادها، وتماسكها، وتأزرها بالبنیان المرصوص، فقال (صلى الله عليه وسلم): (الْمُؤْمِنُ

لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ؛ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ)، والله در القائل:

كُونُوا جَمِيعًا يَا بَنِيَّ إِذَا اعْتَرَى ** خَطْبٌ، وَلَا تَتَفَرَّقُوا أَحَادًا

تَأَبَى الرَّمَاحُ إِذَا اجْتَمَعْنَ تَكْسُرًا ** وَإِذَا افْتَرَقْنَ تَكَسَّرَتْ أَفْرَادًا

ولقد ضرب لنا القرآن الكريم نماذج للوحدة التي أدت إلى الحفاظ على الوطن،

وسلامة المجتمع، ومن ذلك ما كان من سيدنا يوسف (عليه السلام) حين أعد الخطة

المحكمة، وتعاون الجميع، واتحدوا خلف غايتهم، وطبقوا ذلك على أرض الواقع،

فتعاونوا، وتكاتفوا - كل قدر استطاعته - وفق المنهج المرسوم، ورغبة في الغاية

المنشودة، فتحقق للبلاد الرخاء، والازدهار، والحماية، والقوة الاقتصادية، وجاءه

الناس من كل فج عميق لينالوا من خيرات مصر، حيث قال سبحانه وتعالى على لسان

سيدنا يوسف (عليه السلام): {قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ

إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعُ شِدَادٍ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا

تُحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُعَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ}.

كما دعا الإسلام ورغب في كل أمر يكون سببا في وحدة الصف والاجتماع، فدعا

إلى الرحمة واللين والرفق، فقال تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا

غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ

فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}، فالرحمة واللين وخفض الجناح سبب

للاتحاد وتأليف القلوب، وقال (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ

أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا، وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْعَدْوَةِ، وَالرُّوحَةِ، وَشَيْءٍ مِنَ

الدُّلْجَةِ)، وقال (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّمَا بُعِثْتُ بِالْحَيِيفَةِ السَّمْحَةِ).

(٤)

كما دعا الإسلام إلى نشر الألفة والسلام بين أبناء المجتمع على اختلاف عقائدهم ، حيث يقول سبحانه : { وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا } ، ويقول تعالى : { لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُفَاقِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } ، وكان النبي (صلى الله عليه وسلم) يتعامل مع غير المسلمين من هذا المنطلق القرآني ، فكان (صلى الله عليه وسلم) يحسن إليهم ، ويقبل هديتهم ، ويجيب دعوتهم ، ويعود مريضهم ؛ إظهاراً لسماحة هذا الدين ، وحفاظاً على وحدة المجتمع وتماسكه .

وجعل النبي (صلى الله عليه وسلم) المحبة بين الناس شرطاً لكمال الإيمان ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا ، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا ، وَأَنَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ) ، ونهى (صلى الله عليه وسلم) عن خصومة الغير ، والانخراط في أسبابها ، وجعل الخيرية لمن يسارع في تحقيق التصالح والوئام ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (لَا تَبَاغَضُوا ، وَلَا تَحَاسَدُوا ، وَلَا تَدَابَرُوا ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا ، وَلَا يَجِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ) .

إن واجب الوقت وفقه الأولويات يحتمل على جميع أبناء الوطن المخلصين المدركين لطبيعة المرحلة أن **يقفوا جميعاً صفاً واحداً ، حتى تحقق الكفاية لوطنهم ، كل في مجال عمله**؛ فأهل الطب يتعاونون في تحقيق الكفاية لوطنهم ، وكذلك رجال القانون ، والهندسة ، والزراعة ، والتعليم ، وسائر التخصصات والصناعات ، وذلك بتنمية روح البذل والعطاء ؛ فهذا يعمل بيده ، وذاك ينفق من ماله ، وهذا يعلم الناس ، وبهذا يتم توظيف جميع الطاقات والمواهب لخدمة الوطن ، فهذا من صميم ديننا ، حيث خاطبنا الله تعالى جميعاً بصيغة الجمع التي لا تستثني أحداً من العمل والجد ، حيث يقول سبحانه : { هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ

(٥)

النُّشُورُ} ، ويقول (جل شأنه) : {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} .

أقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم .



الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا مُحَمَّدًا عبده ورسوله ، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

إخوة الإسلام :

إن المتابع الجيد لأحداث التاريخ يدرك أن التفرق والاختلاف سبب من أسباب الهزيمة والضعف ، وقد حذرنا القرآن الكريم من ذلك ، فقال تعالى : {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} ، وقال سبحانه : {وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} ، كما أن التفرق واختلاف الكلمة يذهب مهابة الأمة ، ويورثها الضعف والوهن ، ويكفي في التحذير من الفرقة أن مات عليها مات ميتة جاهلية .

من أجل ذلك حارب الإسلام كل سلوك ومظهر من شأنه أن يؤدي إلى الفرقة والاختلاف ، فترى أن الإسلام نهى عن **العنصرية التي هي أثر من آثار العصبية الجاهلية الممقوتة** ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ) قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبْيَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخَرَهَا بِالْأَبَاءِ ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ ، أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ ، وَآدَمٌ مِنْ تُرَابٍ) ، كما بين النبي (صلى الله عليه وسلم) أن الناس متساوون في الحقوق والواجبات ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ ، إِلَّا بِالتَّقْوَى ...) .

كما نبذ الإسلام الكراهية ، وحذر منها ؛ لأنها الوقود المحرك لكل عدوان ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ ؟) ، قالوا : بلى ، قال (صلى

(٦)

الله عليه وسلم): (صَلَّحُ ذَاتِ الْبَيْنِ ، فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ)؛ أي: التي تزيل الحسنات وتمحوها ، كما حذر النبي (صلى الله عليه وسلم) من كراهية الإنسان لأخيه ، وربط بين كمال الإيمان وسلامة الصدر ، فقال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) .

ومن هنا ، ينبغي أن نبتعد عن كل ألوان الفرقة ، والشقاق ، والتنافر ، وكل مظاهر العنف والتشدد ، قال (صلى الله عليه وسلم): (هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ) ، وكررها ثلاثاً ، والمتنطعون : هم المتعصبون ، والمتشددون الذين يتجاوزون حد الاعتدال في أقوالهم وأفعالهم ، وينشرون الفرقة بين الناس ، فهؤلاء أصحاب مصالح خاصة ، يوظفون الدين لمصالحهم ، وأهوائهم ، ومطامعهم السلطوية ، فيفرون ولا يجمعون ، ويضلون ويضلون ، ويفرسون العداوة والبغضاء في النفوس ، وقد تبرأ النبي (صلى الله عليه وسلم) من ذلك كله ، فقال (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ ، مَاتَ مَيِّتَةً جَاهِلِيَّةً ، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عَمِيَّةٍ ، يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً ، فَقَتِلَ ، فَقَتِلَ جَاهِلِيَّةً ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي ، يَضْرِبُ بِرَّهَا وَفَاجِرَهَا ، وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِيهَا ، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ) .

إن قوة الوطن تنبع من تماسك ووحدة جميع أبنائه ، واتحاد واصطفاف أهله ، وبعدهم عن التشرذم والتفرق ، وهذا مبدأ أصيل من مبادئ الإسلام ، نحن في أمس الحاجة إلى تطبيقه عملياً ، خاصة والعالم حولنا يتكتل ولا يحترم إلا الأقوياء المتحدين .

**اللهم وحد صفوفنا ، وألف بين قلوبنا ، ووفقنا لما تحب وترضى ،
وارزقنا الإخلاص في القول والعمل ، واحفظ مصرنا ، وارفع رايتهما في العالمين .**